النحو

المرحلة الأولى-المسائي

أفعال المقاربة

7

أستاذ المادة:

م. م. محمد محسن

أفعال المقاربة

أولًا: أحكام أفعال المقاربة

قال ابن مالك:

كَكَانَ كَادَ وَعَسَى لَكِنْ نَدَرْ ... غَيْرُ مُضَارِعٍ لِهَذَيْنِ خَبَرُ

هذا هو القسم الثاني من الأفعال الناسخة، وهي تدخل على المبتدأ والخبر؛ فترفع المبتدأ اسمًا لها، ويكون الخبر خبرًا لها في موضع نصب، وهي أحد عشر فعلًا، كلها أفعال باتفاق؛ إلا (عسى) ففيها خلاف، والصحيح أنّها فعل لاتصال تاء الفاعل بها؛ نحو: **(عَسَيْتَ)**.

أقسامها من حيث المعنى:

تسمى هذه الأفعال (أفعال المقاربة) تغليبًا، وهي في الحقيقة ثلاثة أقسام:

1- **ما دل على المقاربة:** وهي (كاد، وكرب، وأوشك).

2- **ما دل على الرجاء:** وهي (عسى، وحرى، واخلولق).

3- **ما دل على الإنشاء:** وهي (جعل، وطفق، وأخذ، وعلق، وأنشأ).

حكم الخبر في هذا الباب:

اختصت هذه الأفعال بأنّ خبرها لا يكون إلا جملة فعلية فعلها مضارع؛ نحو: **(كَادَ زَيْدٌ يَقُومُ)**، و**(عَسَى زَيْدٌ أَنْ يَقُومَ)**.

ندرة مجيء الخبر اسمًا:

إنّ مجيء الخبر اسمًا مفردًا بعد (عسى) و(كاد) قليل نادر، ومن شواهده:

- قول الشاعر **الشاهد (84):**

أَكْثَرْتَ فِي الْعَذْلِ مُلِحًّا دَائِمًا ... لَا تُكْثِرَنْ إِنِّي **عَسَيْتُ صَائِمًا**

الشاهد فيه: (عَسَيْتُ صَائِمًا) حيث جاء الخبر اسمًا مفردًا وهو كملة **(صَائِمًا)**، وهو نادر.

- وقول الشاعر **الشاهد (85):**

فَأُبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا **كِدْتُ آيِبًا** ... وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفِرُ

الشاهد فيه: (كِدْتُ آيِبًا) حيث جاء خبر (كاد) اسمًا وهو **(آيِبًا)**، وهو نادر.

تنبيه: قوله (غَيْرُ مُضَارِعٍ) فيه إيهام؛ لأنّ الذي سُمع ندرته هو (الاسم المفرد) فقط، أما الظرف والجار والمجرور والجملة الاسمية فلم تُسمع أخبارًا لهذه الأفعال أصلًا.

ثانيًا: أحكام اقتران خبر أفعال هذا الباب بـ(أن)

قال ابن مالك:

وَكَوْنُهُ بِدُونِ "أَنْ" بَعْدَ عَسَى ... نَزْرٌ وَكَادَ الْأَمْرُ فِيهِ عُكِسَا

بين المصنف في هذا البيت رتبة اقتران الخبر بـ (أَنْ) المصدرية لهذين الفعلين، وبيانه كالآتي:

أ- حكم فعل الرجاء (عسى):

الكثير في خبر (عسى) أنْ يكون مقترنًا بـ (أَنْ)، وتجريده منها قليل (نزر).

- **الاقتران ب(أنْ): في القرآن الكريم** لم يرد خبرها إلا مقترنًا بـ (أَنْ)؛ كقوله تعالى: ﴿**فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ**﴾.
- **تجريده من (أنْ):** ورد تجريد خبرها قليلاً، ومنه قوله الشاعر **الشاهد (86):**

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ ... **يَكُونُ** وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

وقوله **الشاهد (87):**

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ إِنَّهُ ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرُ

الشاهد فيهما: (عَسَى الْكَرْبُ... يَكُونُ) و(عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي) فجاء الخبران فيهما **(يَكُونُ)** و**(يَأْتِي)** غير مقترنين بـ (أَنْ).

ب- حكم فعل المقاربة (كاد):

أفاد المصنف أنّ (كاد) عكس (عسى)؛ فالكثير في خبرها أنْ يتجرد من **(أَنْ)**، ويقلّ اقترانه بها.

- **التجريد:** في القرآن الكريم ورد التجريد وهو الكثير؛ كقوله تعالى: ﴿**فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ**﴾.
- **الاقتران:** في السنّة والشعر ورد اقتران خبرها بـ **(أَنْ)** قليلاً؛ ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "**مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ الْعَصْرَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ**"، ومن الشعر قوله **الشاهد (88):**

كَادَتِ النَّفْسُ أَنْ تَفِيضَ عَلَيْهِ ... إِذْ غَدَا حَشْوَ رَيْطَةٍ وَبُرُودِ

الشاهد فيه: (كَادَتِ النَّفْسُ أَنْ تَفِيضَ) حيث اقترن الخبر ب(أنْ)، وهو قليل.

قال ابن مالك:

وَكَعَسَى حَرَى وَلَكِنْ جُعِلَا ... خَبَرُهَا حَتْمًا بِأَنْ مُتَّصِلَا

وَأَلْزَمُوا اخْلَوْلَقَ أَنْ مِثْلَ حَرَى ... وَبَعْدَ أَوْشَكَ انْتِفَا "أَنْ" نَزَرَا

بيّن المصنف في هذين البيتين أحكامًا مغايرة لما سبق في (عسى) و(كاد)، وتفصيلها كالآتي:

ت- فعلَا الرجاء (حرى) و(اخلولق):

1- **حرى:** هي مثل (عسى) في الدلالة على الرجاء، لكنّها تختلف عنها في أنّ خبرها يجب اقترانه بـ **(أَنْ)** حتمًا؛ نحو: **(حَرَى زَيْدٌ أَنْ يَقُومَ)**، ولم يُسمع تجريد خبرها من **(أَنْ)** في شعر ولا نثر.

2- **اخلولق:** حكمها كحكم (حرى) في وجوب اقتران خبرها بـ **(أَنْ)**؛ نحو: **(اخلَوْلَقَتِ السَّمَاءُ أَنْ تُمْطِرَ)**، وهو من الأمثلة التي نص عليها سيبويه.

ث- فعل المقاربة (أوشك):

الكثير في خبر (أوشك) أنْ يكون مقترنًا بـ **(أَنْ)**، ويقل حذفها منه (نزر).

- **مثال الاقتران (وهو الكثير):** قول الشاعر **الشاهد (89):**

وَلَوْ سُئِلَ النَّاسُ التُّرَابَ لَأَوْشَكُوا ... إِذَا قِيلَ هَاتُوا **أَنْ يَمَلُّوا** وَيَمْنَعُوا

الشاهد فيه: (أَنْ يَمَلُّوا) حيث أتى بخبر(أوشك) جملة فعلية فعلها مقتر بـ(أنْ) وهو كثير.

- **مثال التجريد (وهو القليل):** قول الشاعر **الشاهد (90):**

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ ... فِي بَعْضِ غَرَّاتِهِ **يُوَافِقُهَا**

الشاهد فيه: (يُوشِكُ ... يُوَافِقُهَا) حيث جاء بخبر (يوشك) جملة فعليه فعلها متجرّد من (أنْ) وهو قليل.

قال ابن مالك:

وَمِثْلُ "كَادَ" فِي الْأَصَحِّ "كَرَبَا" ... وَتَرْكُ "أَنْ" مَعْ ذِي الشُّرُوعِ وَجَبَا

كَأَنْشَأَ السَّائِقُ يَحْدُو وَطَفِقْ ... كَذَا جَعَلْتُ وَأَخَذْتُ وَعَلِقْ

ث- حكم فعل المقاربة (كَرَبَ):

اختلف النحاة في (كَرَبَ)؛ فلم يذكر سيبويه فيها إلّا تجريد خبرها من **(أَنْ)**، ولكن المصنف رأى أنّ الأصح أنّها مثل (كَادَ)؛ أيْ أنّ الكثير فيها التجريد، ويقل الاقتران **الشاهد (91):**

1- **التجريد (وهو الكثير):** قول الشاعر:

كَرَبَ الْقَلْبُ مِنْ جَوَاهُ **يَذُوبُ** ... حِينَ قَالَ الْوُشَاةُ هِنْدٌ غَضُوبُ

الشاهد فيه: (كَرَبَ الْقَلْبُ ... **يَذُوبُ**) حيث أتى بخبر(كَرَب) جملة فعلية فعلها متجرّد من (أنْ) وهو كثير.

2- **الاقتران (وهو القليل):** قول الشاعر **الشاهد (92):**

سَقَاهَا ذَوُو الْأَحْلَامِ سَجْلًا عَلَى الظَّمَا ... وَقَدْ **كَرَبَتْ** أَعْنَاقُهَا **أَنْ تَقَطَّعَا**

الشاهد فيه: (أَنْ تَقَطَّعَا) حيث أتى بخبر(كَرَب) جملة فعلية فعلها مقتر بـ(أنْ) وهو قليل.

- **تنبيه:** المشهور في (كَرَبَ) فتح الراء، ونُقل كسرها أيضًا.

ح- أحكام أفعال الشروع:

أفعال الشروع هي ما دلت على البدء في الفعل؛ نحو: (**أَنْشَأَ، طَفِقَ، جَعَلَ، أَخَذَ، عَلِقَ**). وقد أوجب المصنف ترك (**أَنْ**) معها؛ فلا يجوز اقتران خبرها بـ (**أَنْ**) مطلقًا.

- **العلة:** أنّ المقصود بأفعال الشروع هو (الحال)، بينما (**أَنْ**) تخلص الفعل لـ (الاستقبال)، ولا يجتمعان لما بينهما من المنافاة.
- **نحو:**
  - **(أَنْشَأَ السَّائِقُ يَحْدُو).**
  - **(طَفِقَ زَيْدٌ يَدْعُو).**
  - **(جَعَلَ يَتَكَلَّمُ).**
  - **(أَخَذَ يَنْظُمُ).**
  - **(عَلِقَ يَفْعَلُ كَذَا).**

ثالثًا: تصرف أفعال هذا الباب ومشتقاتها

قال ابن مالك:

وَاسْتَعْمَلُوا مُضَارِعًا لِأَوْشَكَا ... وَكَادَ لَا غَيْرُ وَزَادُوا مُوشِكَا

بين المصنف أنّ أفعال هذا الباب ملازمة لصيغة الماضي ولا تتصرف، واستثنى من ذلك (كاد) و(أوشك)، وتفصيله كالآتي:

أ- تصرف (كاد) و(أوشك):

1- **المضارع:** استعمل العرب المضارع منهما؛ فمن مضارع (كاد) قوله تعالى: ﴿**يَكَادُونَ يَسْطُونَ**﴾، ومن مضارع (أوشك) قول الشاعر **الشاهد [90]:**

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ ... فِي بَعْضِ غَرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا

الشاهد فيه: (يُوشِكُ) حيث استعمله بصيغة المضارع.

2- **اسم الفاعل:** استعملوا اسم الفاعل من (أوشك)؛ كقوله **الشاهد (93):**

فَمُوشِكَةٌ أَرْضُنَا أَنْ تَعُودَ ... خِلَافَ الْأَنِيسِ وُحُوشًا يَبَابًا

الشاهد فيه: (فَمُوشِكَةٌ) حيث استعمله بصيغة اسم الفاعل.

كما ورد اسم الفاعل من (كاد) في الشعر؛ كقوله **الشاهد (94):**

أَمُوتُ أَسًى يَوْمَ الرِّجَامِ وَإِنَّنِي ... يَقِينًا لَرَهْنٌ بِالَّذِي أَنَا **كَائِدُ**

الشاهد فيه: (كَائِدُ) حيث استعمله بصيغة اسم الفاعل.

ب- حكاية الماضي في (أوشك):

زعم الأصمعي أنّ (أوشك) لا تستعمل إلّا بلفظ المضارع، والصحيح أنّها تستعمل ماضيًا أيضًا وهو مذهب الخليل، ومنه قول الشاعر **الشاهد [89]:**

وَلَوْ سُئِلَ النَّاسُ التُّرَابَ **لَأَوْشَكُوا** ... إِذَا قِيلَ هَاتُوا أَنْ يَمَلُّوا وَيَمْنَعُوا

الشاهد فيه: (لَأَوْشَكُوا) حيث استعمله بصيغة الماضي.

إلا أنّ الكثير في استعمالها هو المضارع، والماضي قليل.

تصرف بقية الأفعال:

يفهم من تخصيص المصنف أنّ بقية أفعال الباب (عسى، كرب، أفعال الشروع) لا تتصرف، ولكن نُقل عن غيره خلاف ذلك:

- حكى صاحب الإنصاف تصرف (عسى)؛ فقال: (**عَسَى يَعْسِي فَهُوَ عاسٍ**).
- حكى الجوهري مضارع (طفق)؛ (**يَطْفَقُ**).
- حكى الكسائي مضارع (جعل)؛ (**يَجْعَلُ**).

رابعًا: تمام (عسى، واخلولق، وأوشك) وأثره في الإعراب

قال ابن مالك:

بَعْدَ عَسَى اخْلَوْلَقَ أَوْشَكَ قَدْ يَرِدْ ... غِنًى بِـ "أَنْ يَفْعَلَ" عَنْ ثَانٍ فُقِدْ

أشار المصنف إلى أن هذه الأفعال الثلاثة تستعمل تامة (تكتفي بمرفوعها)، فتسند إلى (**أَنْ**) والفعل، وتستغني بذلك عن الخبر المنصوب.

أ- صورة التمام:

تكون **(أَنْ)** والفعل في موضع رفع فاعل لهذه الأفعال؛ نحو: **(عَسَى أَنْ يَقُومَ)**، و**(اخلَوْلَقَ أَنْ يَأْتِيَ)**، و**(أَوْشَكَ أَنْ يَفْعَلَ)**.

ب- حكم وجود اسم ظاهر بعد الفعل:

إذا ولي الفعل الذي بعد **(أَنْ)** اسم ظاهر؛ نحو: **(عَسَى أَنْ يَقُومَ زَيْدٌ)**، ففيه وجهان:

1- **مذهب أبي علي الشلوبين (وجوب التمام):**

يجب أنْ يكون الاسم الظاهر **(زَيْدٌ)** مرفوعاً بالفعل الذي بعد **(أَنْ)** (أيْ: فاعل ليقوم)، وتكون **(أَنْ)** وما بعدها فاعلاً لـ **(عَسَى)**، فهي هنا تامة لا خبر لها.

2- **مذهب المبرد والسيرافي والفارسي (تجويز الوجهين):**

أجازوا ما ذكره الشلوبين، وأجازوا وجهاً آخر وهو: أنْ يكون الاسم الظاهر **(زَيْدٌ)** مرفوعاً بـ **(عَسَى)** اسماً لها، ويكون المصدر المؤول **(أَنْ يَقُومَ)** في موضع نصب خبرًا مقدمًا، والفعل **(يَقُومَ)** فاعله ضمير مستتر يعود على اسم **(عَسَى)**.

فائدة الخلاف في التثنية والجمع:

تظهر ثمرة هذا الخلاف عند تثنية الاسم الظاهر أو جمعه:

- **على مذهب الجمهور (غير الشلوبين):** تقول: **(عَسَى أَنْ يَقُومَا الزَّيْدَانِ)**، و**(عَسَى أَنْ يَقُومُوا الزَّيْدُونَ)**. فتلحق الفعل ضميراً؛ لأنّ الظاهر ليس فاعلاً له، بل هو اسم **(عَسَى)**.
- **على مذهب الشلوبين:** تقول: **(عَسَى أَنْ يَقُومَ الزَّيْدَانِ)**، و**(عَسَى أَنْ يَقُومَ الزَّيْدُونَ)**. فلا تلحق الفعل ضميراً؛ لأن الظاهر مرفوع بالفعل الذي قبله مباشرة.

خامسًا: تقدم الاسم على (عَسَى) بين الإضمار والتجريد

قال ابن مالك:

وَجَرِّدَنْ عَسَى أَوِ ارْفَعْ مُضْمَرَا ... بِهَا إِذَا اسْمٌ قَبْلَهَا قَدْ ذُكِرَا

اختصت **(عَسَى)** من بين أخواتها بأنّه إذا تقدم عليها اسم؛ نحو: **(زَيْدٌ عَسَى أَنْ يَقُومَ)**، جاز فيها وجهان:

1- **لغة تميم (الإضمار):** وجوب إضمار ضمير في **(عَسَى)** يعود على الاسم السابق، فتكون **(عَسَى)** ناقصة، والضمير المستتر اسمها، والمصدر المؤول **(أَنْ يَقُومَ)** في موضع نصب خبرها.

2- **لغة الحجاز (التجريد):** تجريد **(عَسَى)** من الضمير، فتكون تامة، والمصدر المؤول **(أَنْ يَقُومَ)** في موضع رفع فاعل لها، ولا يعود على الاسم السابق منها شيء.

فائدة الخلاف في المطابقة:

تظهر فائدة هذا الخلاف بوضوح عند التثنية والجمع والتأنيث:

- **على لغة تميم (يجب المطابقة بالضمير):**
  - **(هِنْدٌ عَسَتْ أَنْ تَقُومَ).**
  - **(الزَّيْدَانِ عَسَيَا أَنْ يَقُومَا).**
  - **(الزَّيْدُونَ عَسَوْا أَنْ يَقُومُوا).**
  - **(الْهِنْدَاتُ عَسَيْنَ أَنْ يَقُمْنَ).**
- **على لغة الحجاز (تلزم عسى صورة واحدة):**
  - **(هِنْدٌ عَسَى أَنْ تَقُومَ).**
  - **(الزَّيْدَانِ عَسَى أَنْ يَقُومَا).**
  - **(الزَّيْدُونَ عَسَى أَنْ يَقُومُوا).**
  - **(الْهِنْدَاتُ عَسَى أَنْ يَقُمْنَ).**

تنبيه: أما غير **(عَسَى)** من أفعال هذا الباب (كأفعال الشروع والمقاربة)، فيجب فيها الإضمار والمطابقة اتفاقًا؛ فتقول: **(الزَّيْدَانِ جَعَلَا يَنْظُمَانِ)**، ولا يجوز التجريد فلا تقول: (الزَّيْدَانِ جَعَلَ يَنْظُمَانِ).

سادسًا: لغات العرب في سين (عَسَى) عند اتصالها بالضمير

قال ابن مالك:

وَالْفَتْحَ وَالْكَسْرَ أَجِزْ فِي السِّينِ مِنْ ... نَحْوِ عَسَيْتُ وَانْتِقَا الْفَتْحِ زُكِنْ

إذا اتصل بالفعل **(عَسَى)** ضمير رفع متحرك (للمتكلم أو المخاطب أو جماعة الإناث)، جاز في السين وجهان:

1- **الفتح (عَسَ):** وهو الأشهر والأكثر في لغة العرب (زكن: أيْ علم واختير)، وبه قرأ أكثر القراء؛ نحو: **(عَسَيْتُ، عَسَيْتَ، عَسَيْتُنَّ، عَسَيْنَ).**

2- **الكسر (عَسِ):** وهو وجه جائز، ومنه قراءة نافع في قوله تعالى: **(فَهَلْ عَسِيتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ)** بكسر السين.

تفصيل الضمائر التي يجوز معها الوجهان:

- **ضمير المتكلم:** نحو: **(عَسَيْتُ / عَسِيتُ).**
- **ضمير المخاطب:** نحو: **(عَسَيْتَ، عَسَيْتِ، عَسَيْتُمَا، عَسَيْتُمْ، عَسَيْتُنَّ).**

- **ضمير الغائبات (نون النسوة):** نحو: **(عَسَيْنَ / عَسِينَ)**.